**المحاضرة الأولى: مفاهيم تأسيسية: الكلام، اللسان، اللغة، الخطاب، النص، الملفوظ.**

تعتبر مصطلحات الكلام واللسان واللغة من المفاهيم التي حظيت باهتمام الكثير من الباحثين والدارسين اللسانيين وعلى رأسهم دي سوسير، إذ"يرى دي سوسير أن الظاهرة اللغوية تتمثل في ثلاثة مصطلحات أساسية:"اللسان" و"اللغة" و"الكلام". وقد اكتست هذه المصطلحات صبغة عالمية في اللسانيات الحديثة.

فاللسان يدل على النظام العام للغة، ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر، وهو بكل بساطة لسان أي قوم من الأقوام، ويتكون من ظاهرتين مختلفتين هما: اللغة والكلام.

وفي هذا الصدد يقول دي سوسير في كتابه" محاضرات في اللسانيات العامة" : لا ينبغي الخلط بين اللغة واللسان، فما اللغة إلا جزء محدد منه، بل عنصر أساسي، وهي في الوقت نفسه نتاج اجتماعي لملكة اللسان، ومجموعة من التواضعات الضرورية التي تبناها الجسم الاجتماعي لتمكين الأفراد من ممارسة هذه الملكة.

"واللغة في نظر دي سوسير واقعة اجتماعية وخصوصياتها ليست مجردة بل متواجدة بالفعل في عقول الناس. وبعبارة أخرى، فهي مجموع كلي كامن ليس في عقل واحد، بل في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معين" .

واللغة كنز اجتماعي من الوحدات و القوانين يمثل نظاما عاما لايمكن للفرد أن يحيد عنه، لذا فإن موضوع اللسانيات هو اللغة بكل جوانبها النحوية والصوتية والمعجمية المرتسمة في عقول جميع الناس.

أما مفهوم الكلام فإنه فعل كلامي ملموس، ونشاط شخصي، يمكن ملاحظته من خلال كلام الافراد أو كتاباتهم، وهو مطابق لمفهوم "الأداء" الذي وضعه تشومسكي. وقد عرفه دي سوسير بقوله: إنه مجموع ما يقوله الأفراد.

أما الخطاب، فإذا رجعنا إلى معجم اللسانيات للباحث ج. ديبوا نجده يحدد ماهية الخطاب في ثلاث تعاريف هي:

1- الخطاب يعني الكلام.

2- الخطاب مرادف للملفوظ.

3- الخطاب مرادف للغة.

وهو يعني ملفوظ أكبر من جملة، أي متوالية من الجمل ينتجها مرسل ويتلقاها المخَاطب، وعليه لايمكن لنا تحديد مفهوم عام وشامل للخطاب. لكن يمكننا أن نحدده على أنه: استعمال للغة في حالة النطق والكتابة يشتمل على متكلم ينوي التأثير على المخاطَب بوسائل شتى في ظروف معينة(السياق) بغرض تبليغ المخاطِب قصده من الخطاب.

كما نجد مفهوم الخطاب عند الباحث بدر الدين بن تريدي في قاموس التربية الحديث هو" إنتاج شفوي أو كتابي يرفُد بلاغا يشتمل على عدد ما من الكلمات، صادرة بنية التّواصل؛ نتاج الاستعمال الشخصي الحر نسبيا للبنى اللسانية.

أما بالنسبة لمفهوم تحليل الخطاب، فقد أوضحه الدكتور الطيب دبه في مقاله " تحليل الخطاب وأزمة المعنى عند الاصوليين" أن تحليل الخطاب يرجع بوصفه مجال بحث مستقل، إلى صياغة نظرية غربية حديثة عرفت سبيلها إلى الظهور في ظل مخاض معرفي اشترك في بلورته مجموعة من المعارف العلمية والنشاطات النقدية كالسيميائيات، واللسانيات، وفلسفة اللغة، وبعض المذاهب النقدية المعاصرة.

وتشير كتابات بعض المحدثين المهتمين بقضايا تحليل الخطاب إلى أن موضوعه يتعلق بدراسة الاستعمال الفردي للغة، وأن الخطاب في هذا الاستعمال يتحدد بكونه حدثا حقيقيا يمارسه متكلمون حقيقيون داخل مقام حقيقي لا يكون فيه النص( الملفوظ ) سوى معطى من معطيات العملية التخاطبية، ولعل من أفضل التعريفات المعاصرة لمصطلح الخطاب ما أورده كل من باتريك شارودو، ودومينيك مانجونو في قاموسهما حينما يشيران إلى أن الخطاب يعني استعمال اللغة في سياق معين، وفي موضع آخر يشيران إلى أن تحليل الخطاب إنما يرجع إلى العلاقة بين النص والسياق.

وما تجدر الإشارة إليه أن هذا التحديد للخطاب غير بعيد عن تحديد العلماء له في التراث العربي الاسلامي بصفته موضع تلاق وتفاعل بين الكلام وسياق فهمه والإفهام به. ولدى بعضهم لا يسمى الكلام خطابا إذا لم يُقصد به إفهام المستمع.

" والحق أن تحليل الخطاب في التراث العربي الإسلامي لا يصل تناوله إلى مستوى الصياغة المنهجية ومستوى الجهاز المفاهيمي الذين تعرفهما الدراسات المعاصرة، كما لايمكن اعتداده نشاطا معرفيا مستقلا؛ فهو لا يعدو أن يكون مظهرا من مظاهر الدراسة تمّ الالتفات إليه والاحتفال به في ظل حاجات إبستمولوجية ومنهجية عرفتها علوم تتخذ من الخطاب موضوعا لها مثل: علم التفسير، وعلم أصول الفقه، وعلم الكلام، وعلم البلاغة، والنقد.

ومع ذلك فإن هذا لا ينقص من أهمية ما قدّمته هذه العلوم التّراثية في تحليل الخطاب ودراسة قضاياه من جهود جليلة القدر عظيمة الفائدة جديرة بالدرس والاهتمام، لاسيما ما يقدمه علما البلاغة والأصول"

وهذه العلوم التراثية تتعامل مع الخطاب من وجهة معينة أو جانب من جوانبه على أنها تهتم جميعها بالنص القرآني، فالبلاغيون يهتمون بالكشف عن وجوه إعجازه، وعلماء التفسير يسعون في شرح نصوصه، والأصوليون يبحثون في استنباط أحكامه، والنقاد ينطلقون في تحديد معايير النقد، من نماذج إبداعه، والكلاميون يجتهدون في الدفاع عن عقيدته بالحجة والجدل.

يقول الدكتور الأخضر بن السائح في مقال له والموسوم ب" استراتيجية الخطاب في الدلالات وبناء التأويل" إن التعامل مع الخطاب لفك طلاسمه، هو التغلغل في أحشائه لكشف القمقم المخبوء المستعصي على الدلالة المباشرة.

وإذا كانت اللغة هي نظام من الأدلة المتواضع عليها، فإن الملفوظ هو نتيجة لعملية التلفظ.

النص:

النص هو استعمال للغة في سياق ما لأداء وظيفة ما. والنص يتضمن المعنى الذي يتشارك في إنتاجه كل من المرسل والمرسل إليه؛ فالأول يقوم بإنتاج النص والثاني يقوم بإنتاج المعنى.

يقول الباحث الأزهر الزناد" يُطلق النص على ما به يظهر المعنى؛ أي الشكل الصوتي المسموع من الكلام أو الشكل المرئي عندما يترجم إلى مكتوب". يتبين لنا أن النص والخطاب مترادفان فكلاهما استعمال للغة سواء المنطوقة أو المكتوبة، ويفترض هذا الاستعمال طرفا التواصل: المرسل(المتكلم)، والمرسل إليه(المخاطب)، وعليه يمكننا القول أنه لا فرق بين تحليل الخطاب وتحليل النص، بما أنهما يقومان بتحليل اللغة.

المفهوم اللغوي للنص:

إذا عدنا إلى المعاجم اللغوية كالعين للخليل ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، ولسان العرب لابن منظور، فإننا نجد أن المعاني اللغوية لمادة (ن. ص. ص) في هذه المعاجم أنها متعددة وتدل إما على:

-الرفع بنوعيه الحسي والمعنوي.

-أقصى الشيء وغايته.

ضم الشيء إلى الشيء.

-الإظهار.

أما في المعاجم الحديثة كالمنجد فنجد أن "النص جمعه نصوص، الكلام المنصوص، والنص من الكلام هو ما لا يحتمل إلا معنى واحدا أو لا يحتمل التأويل"

ويذهب الأزهر الزناد إلى أن مصطلح "النص في العربية وكذلك في مقابله في اللغات الأعجمية معنى "النسيج". فالنص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح نص".

أما المفهوم الاصطلاحي للنص فيُعتبر من الناحية المعنوية عميقا وواسع الدلالات والايحاءات وله ميزات يمكن أن نرتبها كالتالي:

-النص هو الإطار الذي يزول داخله التباس وغموض الجمل.

-النص يحتوي على افتراضات سياقية أخرى غير الجمل التي تُكوّنه.

-للنص امكانية إعادة التشكل(إمكانية الاختصار عديدة).

فمضمون النص أو دلالته أكبر من مجموع دلالات الجمل المكونة له، وبالتالي فهو منتوج مجموع دلالات هذه الأخيرة.

أما الملفوظ فهو المنطوق وهو الخطاب، يُعرّف بنفنست الخطاب على انه: " كل تلفظ يفترض متكلّما ومستمعا، بحيث يحاول المتكلم التأثير على المستمع بطريقة ما". كما يقول ميشال فوكو:" نُطلق مصطلح خطاب على مجموع الملفوظات التي تنتمي إلى تشكيلة خطابية واحدة".